خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إنّ الخير كلَّه في الإيمان بالله والعمل الصالح، فالحياة الطيّبة في الدنيا إنما هي لأهل الإيمان والعمل الصالح، والحياة الطيّبة في الآخرة إنما هي لأهل الإيمان والعمل الصالح، يقول ربنا ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [النحل:٩٧]، ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالإيمان والعمل الصالح -يا عباد الله- والاستقامة على دين الله لا تأتي الأمّةَ إلا بخير في دينها ودنياها، وإنما يأتي بالشر الانحرافُ عن صراط الله إلى جانب الغُلوّ أو إلى جانب التساهل.

عباد الله! عباد الله! إن المؤمن له الخير في حياته كلها، المؤمن -يا عباد الله- لا يزيده عمره إلا خيرًا، يقول النبي ﷺ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»، ويقول ﷺ مُعلّما ومؤدّبًا، وناصحًا ومُبيّنًا: «لا يتمنّينّ أحدكم الموت، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه، إنّ أحدكم إذا مات انقطع عمله، وإنّ المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا».

نعم -يا عباد الله- إنّ المؤمن الموحِّد المصلّي السّالم من دماء الناس، والسالم من البدع، لا يزيده عمره إلا خيرًا، ترجو له الخير، وترجو منه الخير.

- فإمّا أن يكون مُحسنًا، فيزداد في إحسانه.
- وإمّا أن يكون مُسيئًا، فيرزقه الله التوبة من ذنبه، أو يُنْزِل به مُمَحِّصات الذنوب.

أمّا المشرك -والعياذ بالله- فإنّه في شرّ، لا ترجو له الخير ما دام على شركه، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

والذي لا يصلي -يا عباد الله- قطع نفسه من الخيرات، وأبعدَ نفسه عن صراط الله، وجعل نفسه في صراط الكافرين، يقول النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»، ويقول ﷺ: «بين الرَّجُل والكفر -أو الشرك- ترك الصلاة».

والعبد الذي يُلوّث نفسه بدماء الناس بغير حقّ قطع نفسه من الخيرات، يقول النبي ﷺ: «لا يزال المؤمن مُعْنِقًا صالحًا ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بَلَّح»، أي أنّ المؤمن لا يزال طويلَ العُنُق بالخيرات، سابقًا إلى الخيرات، ترجو له الخيرات، ما لم يُصِب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا انقطع من الخيرات، والعياذ بالله.

ويقول النبي ﷺ: «أيّما رجل أَمِنَهُ رَجُلٌ على نفسه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافرًا».

والمؤمن الذي يتلوّث بالبدع يُبعِد نفسه عن الخير، يقول النبي ﷺ: «فمَن رغب عن سُنّتي فليس مني»، ويقول ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ».

أمّا المؤمن الموحّد المصلّي السّالم من دماء الناس والسّالم من البدع، فإنه لا يزال في خير، ولا يزيده عمره إلا خيرًا وقُربًا من الله ﷻ.

وإنّ المؤمن -يا عباد الله- في خير عند حضور الأجل، عند حضور الموت، يقول النبي ﷺ: «مَن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله، كره الله لقاءه»، فتقول أُمُّنا عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواج النبي ﷺ: إنّا لَنَكْرَهُ الموت يا رسول الله! فيقول ﷺ: «ليس ذاك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت

بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبّ إليه مِمّا أمامه، فأحبَّ لقاءَ الله، فأحبَّ الله لقاءَه، وإنّ الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مِمّا أمامه، فكره لقاءَ الله، فكره الله لقاءَه».

نعم يا عباد الله! إنّ المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، تأتيه ملائكة بِيضُ الوجوه، كأنّ وجوههم الشمس، معهم كَفَنٌ من أكفان الجنة، وحَنُوطٌ من حَنُوط الجنة، فيجلسون منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت عليه السلام، فيقول مُخاطبًا رُوحَه: اخرجي راضية مرضيًّا عنكِ إلى رَوح وريحان، وربّ غير غضبان، أو يقول لها: أيّتها النفس الطيّبة، كانت في الجسد الطيّب، اخرجي حميدة، وأبشري برَوح ورَيحان، وربّ غير غضبان، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تخرج، تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السّقاء، فإذا أخذها ملك الموت لم يدعها الملائكة في يده طرفة عين، بل يأخذوها، ويجعلوها في ذلك الكَفَن وفي ذلك الحَنوط، ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض.

فالمؤمن -يا عباد الله- عند موته خيرٌ له، وبركة، وبشارة برحمة من الله، ورضوان من الله، فيحبّ ما أمامه، فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه، فعند ذلك يحبّ لقاء الله عز وجل، فيحبّ الله لقاءه.

وإنّ المؤمن -يا عباد الله- إذا تقلّبت به الأحوال، وتغيّرت به الظروف، يكون أمره خيرًا له، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذاك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له».

المؤمن -يا عباد الله- في أحواله كلّها في خير، إن أصابه حلو الدنيا -إن أصابته النِّعَم- عَلِم أنّها من الله،

- فشكر الله عليها بقلبه، مُعتقدًا أنها من الله،
- وشكر الله عليها بلسانه، وأثنى على الله بها،
- وشكر الله عليها بعمله، فلم يجعلها إلا في طاعة الله سبحانه وتعالى.

وإنّ ربّنا -يا عباد الله- لَيَرضى عن العبد الحامد الشّاكر ويُعظِم ثوابه، يقول النبي ﷺ: «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض»، ويقول ﷺ: «إنّ الله لَيَرضى عن العبد أنْ يأكل الأكلة فيحمده عليها، وأن يشرب الشربة فيحمده عليها».

الله أكبر يا عباد الله! الله هو المُنعِم، ومع ذلك يرضى عليك -يا عبد الله- إن حمدته على نعمه، وتكون مِمّن رضي الله عنهم.

وإنّ المؤمن إذا نزلت به الضرّاء فذاق مرارة الدنيا علم أنّها من الله، وأنّه عبدٌ لله، وأنّ الله هو السّيّد، وأنه سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل، وأنه إنما أنزل به الضرّاء لِحِكَمٍ عظيمة منه ﷻ، وأن الذي أنزل هذه البلوى هو الذي أنعم ببقيّة النعم، فيصبر على ذلك، ولا يتسخّط، ولا يغضب، لأنه يعلم أنّ في المِحنَة مِنحَة، وأنّ في النِّقمَة نِعمَة للمؤمن، فيصبر، فيكون ذلك خيرًا له.

فعَجَبًا لأمر المؤمن يا عباد الله! إنّ أمره كلّه له خير، وعَجَبًا للإيمان! فإنّه لا يأتي إلا بخير.

فاتقوا الله عباد الله، واجتهدوا في تحقيق التوحيد، والإيمان بالله، والعمل الصالح.

ما علمتم -عباد الله- أنّ الله أمر به فالزموه، فإنّ ذلك خيرٌ لكم، وما علمتم أن الله نها عنه فاتركوه، فإنّ ذلك خيرٌ لكم، طِيبٌ في الحياة، ورضًا بربّ العالمين، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وأكرمنا بهذا الدين، الذي جاءنا بالحقّ المبين.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أمّا بعد فيا عباد الله:

إنّ هذه القاعدة الشريفة التي بيّنها لنا النبي ﷺ -وهي الشكر عند السرّاء، والصبر عند الضرّاء- ينبغي على المؤمن أن يستعملها في تعامله مع الناس، لِتَطِيبَ حياته، ولِيَحيا مع الناس حياة طيبة.

- فالمؤمن -يا عباد الله- يستعمل هذه القاعدة الشريفة في بيته، فالزوج مع زوجته، إنْ أحسنت الزوجة شَكَرَها على ما صنعت، وإنْ وقعت في أمر يسوءه صبر عليها، و لم يكهَرها، و لم يضرِبها، و لم يشتُمها، و لم يُطلّقها، وإنّما يصبر عليها.

- والمؤمن مع جيرانه –يا عباد الله– يُعمِل هذه القاعدة الشريفة، فإذا أتاه من جيرانه ما يُحمَد ويُسَرّ به الإنسان شَكَرَهُم على ذلك، وأثنى عليهم بذلك، ودعا لهم، وإذا جاءه مِن أحد من جيرانه ما يسوءه صبر على جاره، وعلم أن إكرام الجار مِن أعظم محاسن الإسلام، ومن الأمور التي يرضى بها الله ﷻ.
- ويَعْمَلُ المؤمن بهذه القاعدة الشريفة المُنيفة مع ولاة أمره، فإنْ جاء من ولاة الأمر ما يُسَرّ به الإنسان –ما يَنشط له الإنسان– شكرهم على هذا، وأثنى عليهم بهذا، ودعا اللهَ لهم، وإذا جاء من وليّ الأمر ما قد يسوء الإنسان صبر على ذلك، ولم ينزع يدًا من طاعة، «ألا من وَلِيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنّ يدًا من طاعة».

وإنّ أعظم الناس حاجةً إلى الشكر –يا عباد الله– هم ولاة الأمر، وإنّ شكرهم وشكر المحسنين من الناس من شكر الله ﷻ، يقول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

فهنيئًا –عباد الله– لِمَن رزقه الله قلبًا سليمًا –لمن رزقه الله قلبًا طيّبًا– فكان شاكرًا عند السرّاء، صابرًا عند الضرّاء، مُعامِلاً عبادَ الله بالأخلاق الحسنة.

فتأمّلوا –عباد الله– ما جاء به دينُكم، فإنّ نبيّكم محمدًا ﷺ بكم رؤوف رحيم، ما مِن خير إلا دلّكم عليه، وبيّنه لكم، وأمركم به، وما من شرّ إلا بيّنه لكم، وحذّركم منه.

وإنّ هذه الأمّة الإسلامية لن يظهر عِزُّها ولن تظهر قوّتها إلا إذا تمسّكت بدينها، واعتزّت بدينها، وأظهرت العمل بدينها، وعاملت الناس بأخلاق هذا الدّين العظيم، فالحمد لله الذي جعلنا مؤمنين، ونسأل الله أن يجعلنا من عباده المفلحين.

ثم اعلموا –رحمني الله وإياكم– أنّ الله أمرنا بأمرٍ عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فأكرموا أنفسكم -عباد الله- بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله.

فاللهمّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، وعلى أزواجه وذريته، وعلى أصحابه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين.

اللهمّ يا ربّنا، يا حيّ يا قيّوم، يا بديع السماوات والأرض، إنّا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فأعطِنا ما نرجو، وأمِّنّا مِمّا نخاف يا رب العالمين.

إلهنا، إنّ لكلّ واحد منّا سؤله، وأنت أعلم بنا من أنفسنا، اللهمّ فأعطِ كلّ واحد سؤله، وزده من فضلك يا رب العالمين.

اللهم مَن علمته منّا مهمومًا فاكشف همّه يا رب العالمين، اللهمّ مَن علمته منّا مريضًا فارفع عنه الداء وأثبِت له الأجر يا رب العالمين، ومَن علمته منّا مَدِينًا فاقضِ عنه الدين يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا نسألك أن تُنزِل البركة علينا، اللهمّ بارك لنا في أجسادنا، وبارك لنا في أعمارنا، وبارك لنا في أعمالنا، وبارك لنا في بيوتنا، وبارك لنا في ذرّيّاتنا، وبارك لنا في بلدنا، وبارك لنا في ولاة أمرنا يا رب العالمين.

اللهمّ وفّق رئيس الدّولة واحفظه يا رب العالمين، اللهمّ ارزقه الصحة والعافية، اللهمّ رقِّق قلبه على الرعية، وزده خيرًا إلى خيره يا رب العالمين، اللهمّ املأ قلوب الرعية حُبًّا له، واملأ قلبه رفقًا بالرعية يا رب العالمين، وبارك في نائبه ووليّ عهده يا رب العالمين، اللهمّ استعملهما في كل خير يا رب العالمين، اللهمّ وبارك في حُكّام الإمارات يا رب العالمين، اللهمّ يا ربِّ قرّبهم من الخير، وقرّب منهم الأخيار يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، ثبِّت علينا النِّعم في هذا البلد، وزدنا منها يا رب العالمين، وارزقنا شُكرها يا رب العالمين.

اللهمّ ثبّت جنودنا في الجبهة يا رب العالمين، اللهمّ ثبّت جنودنا في الجبهة يا رب العالمين، اللهمّ ثبّت جنودنا في الجبهة يا رب العالمين.

اللهمّ أعْلِ مقام مَن مات من شهدائنا، اللهمّ اجعلهم في الفردوس الأعلى يا رب العالمين، وأكرِم أهلهم يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تؤيّد قادتنا وبلادنا وجنودنا، اللهمّ انصرهم ومكِّن لهم يا رب العالمين.

اللهمّ مَن أرادنا وأراد ديننا وأراد بلادنا وأراد ولاة أمرنا بسوء اللهمّ فأشغله في نفسه، واجعل تدميره في تدبيره يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا إنّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجمعنا ووالدِينا وأهلنا ومن نُحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا.

اللهمّ إنّا عباد من عبادك ضعفاء، قد أذنبنا، وأكثرنا من الذنوب، وبلغت ذنوبنا عنان السماء، لكنّ رحمتك أرجى عندنا من ذنوبنا، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].